# بدائع الفوائد فى سورة الكافرون
# فى رؤية لابن قيم الجوزية

عرض ودراسة
د/ أحمد سعد الخطيب
أستاذ التفسير وعلوم القرآن
المساعد بالكلية

---

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد الله وكفى ، ونصلى ونسلم على نبيه المصطفى ، خاتم الرسل وسيد الأنبياء الذى أوضح الدليل وأنار السبيل .

وأشهد أن محمدا عبده ورسوله القائل " خيركم من تعلم القرآن وعلمه"[١]

فاللهم نسألك أن تعلمنا القرآن وأن تفقهنا القرآن ، وأن توفقنا للعمل بما فى القرآن يا رب العالمين .

*أما بعد،،*

فإن أهم ما يشغل الإنسان به نفسه كتاب الله حفظا وتلاوة ، وتدبيرا وتفسيرا خاصة فى عصر كهذا زاغ فيه الناس وتاهوا عن منهاج ربهم وابتعدوا عن كتابه إلا من حماة الله وأمتن عليه بفضله ، فوفقه للطاعة وهيأة لخدمة دسنه ، ناهجا فى ذلك نهج سلف الأمة ، الذين جاهدوا فى خدمة هذا الدين أيما جهاد

ومن هؤلاء العلامة شمس الدين ابن قيم الجوزية ، صاحب التصانيف المعروفة والمواقف المشهورة فى خدمة الدين وعلومه .

وقد نبهنى هذا العالم الجليل إلى سورة " الكافرون " بما ذكر فيها من فوائد وفوائد فى كتابه القيم " بدائع الفوائد " بما لم يذكره غيره ، فأحببت أن أفرد فوائده تلك ببحث يلفت النظر إلى هذه السورة العظيمة من جهة ، ثم إلى ابن القيم فى سعة

---

[١] صحيح البخارى مع فتح البارى كتاب فضائل القرآن باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه ١٩ / ٩٠ .

الفهم ونفاذ البصيرة فى التعامل مع القرآن الكريم من جهة أخرى وقد اخترت من عنوان الكتاب الذى تكلم فيه ابن القيم عن هذه السورة وهو كتاب " بدائع الفوائد " اخترت عنوان بحثى هذا حيث وسمته بـ " بدائع الفوائد " فى سورة الكافرون فى رؤية لابن المقيم " .

ومنهجى فى تلك الدراسة يتمثل فى عرض كلام ابن القيم ثم دراسة وتحليل ما يحتاج منه إلى تحليل ، أو توضيح ما يحتاج إلى توضيح . أو التعقيب بالتأييد أو الرد أو بما عساه أن يكون متمما لكلام ابن القيم من كلام المفسرين .

وقد أوطىء لكلام ابن القيم أحيانا بما يدل عليه ، ويساعد على فهمه

وأما خطتى فيه ، فتعتمد على مطالب ثلاثة .

## ***الأول*** : **بعنوان لمحة عن حياة ابن القيم وجهوده فى خدمة العلوم الإسلامية** :

وفيه عرفت بابن القيم من خلال بيان اسمه ونسبه وكنيته ولقبه ، وولادته ثم نشأته وثقافته ، ثم شيوخه فى العلم وتلاميذه ، ثم ثناء العلماء عليه ثم وفاته ثم أهم المؤلفات التى خلفها .

## ***الثانى*** : **بعنوان ( بين يدى سورة الكافرون )**

وفيه عرفت بسورة " الكافرون " من خلال بيان الآتى .

اسم السورة - زمان نزولها - عدد آياتها - مناسبتها لما قبلها من الآثار التى وردت فى شأنها وفى فضلها .

## ***الثالث*** : **بعنوان بدائع الفوائد فى سورة الكافرون لابن قيم الجوزية** :

وهذا المطلب موضوع البحث وصلبه ، وفيه نقلت عن ابن القيم ما ذكره من مسائل وفوائد حول السورة . وقمت بدراستها فى ضوء أقوال المفسرين وغيرهم.

# المطلب الأول
# لمحة عن حياة ابن القيم
# وجهوده فى خدمة العلوم الإسلامية

## اسمه ونسبه وكنيته ولقبه وولادته :

هو محمد بن أبى بكر بن سعد بن جرير الزرعى - نسبة إلى بلدة أزرع قرية من حوران - ثم الدمشقى أبو عبد الله شمس الدين ورحمه الله فى السابع من صفر سنة إحدى وتسعين وستمائة من الهجرة ، وكان أبوه قيما على الجوزية وهى مدرسة بدمشق ولذا عرف بابن قيم الجوزية .

## نشأته وثقافته :

ليس غريبا على وليد أبوه قيم لمدرسة الجوزية بدمشق أن ينشأ منشأة علمية ، فما لا شك فيه أن أباه قد هيأ له المناخ الطيب ليتغذى بالثقافة على اختلاف أنواعها .

وقد كان ابن القيم - رحمه الله - موسوعة علمية ، ودائرة معارف فى علوم عصره ، فألف فى العقيدة والفقه والأصول والسيرة والحديث والتفسير . وإن كان لم يؤلف فيه - أى التفسير - كتاباً كاملا بل هى بحوث مبعثرة فى كتبه الكثيرة التى تركها ، خاصة بآيات معينة أو بسور قصار ، أو بموضوعات وردت فيها آيات أو كان رحمة الله يود أن يكتب تفسيرا كاملا يمضى فيه على نهجه المميز فى التفسير ويرجو الله أن يعينه على ذلك .

قال رحمه الله بعد أن ينتهى من الكلام عن سورة الكافرون فى سفره النفيس " بدائع الفوائد " قال : عسى الله المان بفضله الواسع العطاء الذى عطاؤه على غير قياس المخلوقين أن يعين على تعليق تفسير - على هذا النمط وهذا الأسلوب ، وقد كتبت على مواضع متفرقة من القرآن بحسب ما يسنح من هذا النمط وقت مقامى بمكة وبالبيت المقدس والله المرجو إتمام نعمته .[1]

---

[1] بدائع الفوائد ١ / ١٤١

لكن مع ذلك فما تركه ابن القيم فى التفسير جدير بأن ينتقى وأن يـدرس لأن لابن القيم فكرا خاصا فى التفسير لم يتأثر فيه بغيره وقد جمع بعضهم كثيرا من هـذا التراث الذى خلفه ابن المقيم فى التفسير تحت عنوان " التفسير المقيم [١]

## شيوخه فى العلم :

تلقى ابن القيم رحمه الله العلم على يد شيوخ كثيرين فى مختلف العلوم ومن هؤلاء .

١- والده أبو بكر " قيم الجوزية " أخذ عنه الفرائض وكان بارعا فيها .

٢- المجد الحر بن إسماعيل بن محمد الفراء شيخ الحنابلة بدمشـق ، أخـذ عنـه الفرائض كذلك بعد أن أخذها عن والده ، وأخذ عنه كذلك الفقه .

٣- بدر الدين ابن جماعة الفقيه الشافعى وصاحب التصانيف المعروفة .

٤- ابن مفلح الإمام الحنبلى المشهور وهو الذى قال عنه ابن القيم : ما تحت قبـة الفلك أعلم بمذهب أحمد من ابن مفلح .

٥- شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تميمة .

وهو الذى كان له الأثر الكبير على ابن القيم ، وقد تبنى ابن القيم كثيرا مـن آرائه التى سببت له الإيذاء والمحن التى تحملها بصبر الصابرين .

وسمع كذلك من شهاب الدين النابلسى ، والقاضى تقى الدين سليمان ، أبى بكر ابـن عبد الدائم ، وأبى نصر الشيرازى ..... [٢]

## تلاميذه :

تتلمذ على يد ابن القيم كثير من صاروا بعد قلاعا شامخة فى العلم وأبرزهـم الحافظ ابن كثير المفسر المعروف صاحب تفسير القرآن العظيـم وصـاحب البدايـة

---

[١] طبعته مطبعة السنة المحمدية سنة ١٩٤٩ م ثم توالى طبعة بعد ذلك فى طبعات مختلفة .

[٢] طبقات المفسرين للداودى ٢ / ٩٤ .

والنهاية . وكذلك الحافظ ابن رجب الحنبلى وابن عبد الصاوى وشمس الدين محمد بن عبد القادر النابلسى وغيرهم .

## ثناء العلماء عليه

قال عنه ابن كثير : سمع الحديث واشتغل بالعلم وبرع فى علوم متعددة لا سيما علم التفسير والحديث والأصليين .... وكان حسن القراءة والخلق ، كثير التودد لا يحسد أحدا ولا يؤذيه ولا يستعيبه ، ولا يحقد على أحد ، وكنت من أصحب الناس له وأحب الناس إليه ، ولا أعرف فى هذا العالم فى زماننا أكثر عبادة منه ... [١]

**وقال الداووى** : تفنن فى علوم الإسلام وكان عارفا بالتفسير لا يجارى فيه ، وبأصول الدين ، وإليه فيها المنتهى ، وبالحديث ومعانيه وفقهه ، ودقائق الاستنباط منه لا يلحق فى ذلك ، وبالفقه وأصوله وبالعربية ن وله فيها اليد الطولى... [٢]

وقال ابن حجر : كان جرىء الجنان ، واسع العلم ، عارفا بالخلاف ، ومذاهب السلف . [٣]

## وفاته :-

وقد توفى رحمه الله ليلة الخميس ثالث عشر من رجب وقت أذان العشاء سنة إحدى وخمسين وسبعمائة من الهجرة المباركة وله من العمر ستون سنة . أمضاها فى خدمة الدين والعلم ، وصُلّى عليه بعد صلاة ظهر اليوم التالى لوفاته بالجامع الأموى ودفن عند والدته بمقابر الباب الصغير . [٤]

## أهم المؤلفات التى خلفها :-

خلف رحمه الله العديد من المؤلفات التى زخرت بها المكتبة الإسلامية اكتفى بذكر بعضها خشية الطول الذى لا يتناسب مع المقام .

---

[١] البداية والنهاية ٧ / ٦٥٧ .

[٢] طبقات المفسرين ٢ / ٩٤ .

[٣] الدور الكامنة ٤ / ٢١ .

[٤] البداية والنهاية ٧ / ٦٥٧ .

## أقول : من هذه المؤلفات ما يلى : ■

١- إعلام الموقعين عن رب العالمين .

٢- أصول التفسير أشار إليه فى جلاء الأفهام صـ ٩٢ .

٣- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان .

٤- أمثال القرآن .

٥- أقسام القرآن .

٦- بدائع الفوائد .

٧- الروح .

٨- زاد المعاد إلى هدى خير العباد .

٩- جلاء الأفهام فى ذكر الصلاة والسلام على خير الأنام .

١٠- المنار المنيف فى الصحيح والضعيف .

١١- طريق الهجرتين وباب السعادتين .

وغير ذلك من الكتب التى لا يتسع المقام لذكرها [١]

## المطلب الثانى

## بين يدى سورة { الكافرون }

هذا مطلب رأيت من اللائق أضمه إلى البحث ، أعرفه فيه بسورة الكافرون من خلال بيان :

اسمها - زمان نزولها - عدد آياتها - مناسبتها لما قبلها - الآثار التى وردت فى فضلها .

أبين كل هذه المسائل فى هيئة تتناسب مع بحث فى حولية ، أى فى إيجاز غير مخل .

---

[١] انظر ترجمته فى البداية والنهاية ٧ / ٦٥٧ ، طبقات المفسرين للداوودى ٢ / ٩٣ ، ذيل طبقات الحنابلة ٢ / ٤٤٨ ، الدرر الكامنة ٤ / ٢١ ، النجوم الزاهرة لابن تغدى بردى ١٠ / ٢٤٩ .

**اسم السورة** : هذه السورة تسمى سورة " الكافرون " وسميت بذلك لأنها نازلة فى الكافرين وفى إعلان النبى صلىً الله عليه وسلم لهم براءته من دينهم وإخلاصه العبادة لله . وقد ذكر لفظ " الكافرون " فى أول آية من السورة ، فكان ذلك داعيا لأن تسمى السورة سورة " الكافرون " .

وقد نقل السيوطى فى الإتقان : أنها من السور متعددة الأسماء وكذلك الفخر الرازى حيث ذكر أنها تسمى سورة ( المنابذة [١] والإخلاص ، والمقشقشة .[٢] ومن الإتقان تسمى المقشقشة والعبادة [٣] والمقشقشة أى المبرئة من النفاق [٤] وهو اسم من أسماء سورة الإخلاص " قل هو الله أحد " كذلك وقد تثنى السورتان فيقال المقشقشتان أى الكافرون والإخلاص .

ومن ثم فإن السورتين واحد وهو التوحيد ، فسورة " الصمد " تهتم بتوحيد العلم واليقين ، وسورة الكافرون تعنى بتوحيد العبادة ، وسوف يأتى فى ثنايا البحث تحقق قيم لابن القيم حول الارتباط بين السورتين .

## زمان نزولها : ■

ذكر السيوطى فى الإتقان [٥] هذه السورة ضمن السور المكية .

ولم يذكرها ضمن السور المختلف فيها ، ومن قبله فعل ذلك الزركشى[٦]

لكن نقل القرطبى أحد قولين لابن عباس يقضى بمدنيتها ، وكذلك قال قتادة والضحاك . [٧]

---

[١] النبذ إلقاء الشيء وطرحه لقلة الاعتناء به ولذلك يقال : نبذت نبذ النعل الخلق . وهذه السورة قد نبذت الكافرين وبرأت الرسول صلى الله عليه منهم ، وأظهرت فساد دينهم وحثت بمضمونها على نبذ الكفار ولذا سميت بهذا الاسم .

[٢] مفاتيح الغيب ١٦ / ٧٠٤ .

[٣] الإتقان ١ / ٥٧ .

[٤] حاشية الجمل ٤ / ٥٩٦ .

[٥] الإتقان ١ / ١٠ .

[٦] البرهان ١ م ١٩٣ .

[٧] القرطبى صـ ٤/٧٣ .

***ويترجح لدى أن السورة مكية لا شبة فى ذلك لما يلى :-***

١- السورة واضح فيها مسلمة القرآن أكملى الذى يهتم بالعقيدة وتنقيتها من الشوائب ، والسورة قد اتخذت العقيدة لها موضوعا فأرشدت إلى عبادة الله وحده ، ونبذ ما سواه من الآلهة التى اتخذها المشركون شركاء لله وأندادا له ، جاء ذلك الإرشاد فى تلك الصفحة التى صفح النبى صلى الله عليه وسلم بها الكافرون ، حين أعلن لهم براءته مما يعبدون وتوجهه بالعبادة الخالصة إلى الله وحده ، وأن دينهم لهم لا يناله منه شىء ، وهؤلاء المشركون كانوا بمكة ولم يكونوا بالمدينة .

٢- سبب النزول الذى ساقه السيوطى وغيره يؤيد ذلك أيضا . فقد جاء فى لباب النقول ما نصه :أخرج الطبرانى وابن أبى حاتم عن ابن عباس أن قريشا دعت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعطوه مالا فيكون أغنى رجل بمكة ويزوجوه ما أراد من النساء فقالوا : هذا لك يا محمد ، وتكف عن شتم آلهتنا ولا تذكرها بسوء . فإن لم تفعل فاعبد آلهتنا سنة قال : حتى أنظر ما يأتينى من ربى ، فأنزل الله ( قل يا أيها الكافرون ) إلى آخر السورة ، وأنزل ( قل أفغير الله تأمرونى أعبد أيها الجاهلون ) سورة الزمر : ٦٤ .

وفى رواية أخرى ذكر من القرشيين الذين واجهوا النبى صلى الله عليه وسلم بهذا الأمر الوليد بن المغيرة ، والعاص بن وائل ن والسود بن المطلب وأمية بن خلف . (١)

وأين هؤلاء من المدينة بل هم كانوا بمكة ولم يذهبوا إلى المدينة قط حتى يواجهوا بمثل هذا الخطاب فكون السورة مكية مما لا يحتاج إلى كلام كثير خاصة أن راوى هذا السبب هو ابن عباس الذى نقل عنه قول آخر بأن السورة مدنية .

## عدد آياتها : ـ

يبلغ عدد آيات سورة " الكافرون " ست آيات ، لكن مع قلة هذا العدد فقد اشتملت السورة على الموضوع الذى من أجله خلق الله كل ما فى الكون ، بل الكون ذاته

(١) لباب النقول ص ـ ٣٠٧ وانظر الطبرى ٣٠ / ٢١٣ ، تفسير بن كثير ٤ / ٥٦٠ .

وهو توحيد الله تعالى وإخلاص العبادة له سبحانه . كل ذلك فى أسلوب عـــال وذوق رفيع معجز . لا يدانيه كلام البلغاء والفصحاء .

**مناسبتها لما قبلها** : ■ السورة التى قبلها هى سورة الكوثر .

ومما هو واقع أن القرآن الكريم فى ترتيب سوره وآياته راعـى المناسـبة فى ذلك بحيث لا تجد سورة ولا آية تنبو عن سابقتها ولا للاحقتها بل دائما السـابق يمهد للاحق ، واللاحق يتمم السابق ويؤكده .

وإذا أردنا التحقق من هذا فى ضوء هذه الدراسة التى معنـا ، فـإن أوجـه التناسب بين السورتين واضحة منها :

١- إنه تعالى لما قال فى سورة الكوثر ( فصلِّ لربك وانحر ) آمرا نبيـه صلـى الله عليه وسلم بعبادته والتوجه إليه وحده فيما يفعل من أعمال الخير لما كان ذلـك دعاه فى سورة " الكافرون " إلى مخاطبة الكافرين بهذه الحقيقـة ومواجهتـهم بها بإعلان الإخلاص فى العبادة لله والبراءة مما يعبدون لأنه يعبد الإله الحـق . وهم يعبدون أصناما لا تنفع ولا تضر . (١)

٢- لما وصف المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه أبتر أى مقطوع مـن الوالد والولد ومن قومه ، وَرَدَّ القرآن عليهم بأن من يبغض رسول الله صلـى الله عليه وسلم هو الأبتر المقطوع من رحمة الله لما كان الأمر كذلـك أمـر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يناديهم كذلك بوصف مذموم كما وصفوه من قبـل بوصف مذموم ليس فيه . فقال له ( قل يا أيها الكافرون ) مع الفارق الواضـح بين الوصفين فهم وصفوه صلى الله عليه وسلم بما ليس فيه ، وهـو وصفـهم بما هو فيهم .

٣- ومنها أن رسول الله عليه وسلم قد اطمأن فؤاده حين أخبره الله بأنه قد أعطـاه الكوثر ووصف مبغضه بأنه الأبتر ، بعد ذلك أمره الله بقوله ( قـل يـا أيـها الكافرون ) أى نادهم بهذا النداء الذميم بالنسبة لهم ولا تبال بهم ، فقد منحنـاك

---

(١) انظر هذا اوجه مختصرا فى تناسق الدرر للسيوطى صـ ١٥٩ .

القوة الروحية والمعنوية والقدرة على مواجهة الكفار بهذا الخطاب حين منحناك الكوثر وحين وصفنا مبغضك بأنه الأبتر .

٤- ومنها أنه لما قال له الله صلى الله عليه وسلم ( إنا أعطيناك الكوثر ) فقد وجه نظرَه صلى الله عليه وسلم إلى انه تعالى هو وحده صاحب الإنعام عليه ، أ و من كان كذلك فهو وحده الحقيق بأن يعبد فقال له ( قل يا أيها الكافرون . لا أعبد ما تعبدون ) إلى غير ذلك من أوجه التناسب بين السورتين وهى كثيرة أمام من يرُيد أن يسهب ويطنب .

## من الآثار التى وردت فى شأن سورة الكافرون وفضلها:

ورد فى حرص النبى صلى الله عليه وسلم على قراءة سورة " الكافرون " فى الصلاة أحاديث عدة أو كذلك فى تنويه النبى صلى الله عليه وسلم بفضلها والإشارة إلى مكانتها ومن ذلك ما يلى :

١- أخرج الترمذى بسنده عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل من أصحابه : هل تزوجت يا فلان ؟ قال : لا والله يا رسول الله ، ولا عندى ما أتزوج به . قال : أليس معك " قل هو الله أحد " ؟ قال بلى ، قال : ثلث القرآن ، قال :أليس معك إذا جاء نصر الله والفتح " ؟ قال : بلى قال ربع القرآن، قال : أليس معك " قل يا أيها الكافرون " ؟ قال : بلى ، قال : ربع القرآن قال: أليس معك " إذا زلزلت الأرض " قال : بلى ، قال : ربع القرآن . قال : تزوج تزوّج " [١]

## قال الترمذى :هذا حديث حسن :

٢- وأخرج أبو داود بسنده عن فرو بن نوفل عن أبيه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال النوفل : " أقرأ ( قل يا أيها الكافرون ) ثم نم على خاتمتها فإنها براءة من الشرك " [٢]

---

[١] الترمذى كتاب فضائل القرآن ، باب ما جاء فى " إذا زلزلت " حديث رقم ٢٨٩٥ .

[٢] أبو داود كتاب الأدب - أبواب النوم - باب ما يقال عند النوم ٤ / ٣١٣ وقد أشار له السيوطى فى الجامع الصغير ١ / ١٧ برمز الصحة .

هذا مما ورد فى فضلها وبجانب ذلك قد ورد ما يفيد أن النبى صلى الله عليه وسلم كان حريصا على أن يقرنها بسورة الإخلاص فى بعض الصلوات منها ركعتا الفجر وركعتان بعد المغرب أو الوتر ، وثبت أنه قرأ بهما فى ركعتى الطواف فى حجة الوداع .

## وهاك الروايات الدالة على ذلك : ـ

١- أخرج مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه : " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ فى ركعتى الفجر ( قل يا أيها الكافرون ، وقل هو الله أحد )[١].

٢- وأخرج ابن ماجة بسنده عن عبد الله بن مسعود " أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقرأ فى الركعتين بعد صلاة المغرب ( قل يا أيها الكافرون ، وقل هو الله أحد ) [٢] .

٣- وأخرج بن ماجة بسنده عن أبى بن كعب قال : " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوتر بسبح اسم ربك الأعلى ، وقل يا أيها الكافرون ، وقل هو الله أحد[٣].

٤- وجاء عند مسلم فى حديث حجة الوداع عن جابر ما يفيد أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى خلف مقام إبراهيم ركعتين بعد الطواف وفيه " كان يقرأ فى الركعتين قل هو الله أحد . وقل يا أيها الكافرون " [٤] .

**قال النووى** : معناه يقرأ فى الركعة الأولى بعد الفاتحة ( قل يا أيها الكافرون) وفى الثانية بعد الفاتحة ( قل هو الله أحد ) [٥].

وقد جاء فى حديث جابر عند الترمذى " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ فى ركعتى الطواف بسورتى الإخلاص " قل يا أيها الكافرون " " وقل هو الله

---

[١] صحيح مسلم على شرح النووى كتاب الصلاة ، باب استحباب ركعتى الفجر ٣ / ٨٩ .

[٢] سنن ابن ماجة كتاب الصلاة باب ما يقرأ فى الركعتين بعد المغرب ١ / ٣٦٩ .

[٣] سنن بن ماجة كتاب الصلاة باب ما جاء فيما يقرأ الوتر ١ / ٣٧٠ .

[٤] صحيح مسلم على شرح النووى كاب الحج باب حجة النبى صلى الله عليه وسلم ٤ / ٥٦٣ .

[٥] شرح النووى على صحيح مسلم ٤ / ٥٧٣ .

أحد"[1] وفى الحديث عبد العزيز بن عمران وهو ضعيف ويقوى الحديث ما عند مسلم وهنا قدم ذكر سورة الكافرون على سورة الإخلاص حتى لا يظن أن النبى صلى الله عليه وسلم كان ينكس فى القراءة . وهذا ما فطن إلى التنبيه عليه النووى رحمه الله.

وبعد ، فاهتمام النبى صلى الله عليه وسلم بقراءة سورة الكافرون فى هذه الصلوات دليل على فضلها . واقتران سورة الإخلاص بها دليل على قوة الترابط بين السورتين وهو ما مضت الإشارة عنه ، وما سيأتى بيانه إن شاء الله فى ضوء كلام ابن القيم .

## المطلب الثالث
## بدائع الفوائد فى سورة الكافرون
## لابن قيم الجوزية ـ آيات السورة الكريمة

**قال تعالى :**

" قل [2] يا أيها الكافرون . لا أعبد ما تعبدون . ولا أنتم عابدون ما أعبد . ولا أنا عابد ما عبدتم . ولا أنتم عابدون ما أعبد . لكم دينكم ولى دين "

سورة آياتها ست بيد أنها اشتملت على أشرف الموضوعات وأسماها ، وأفضلها وأعلاها ، وهو توحيد الله الخالص بالعبادة الخالصة وقد ضمت السورة إلى شرف هذا المطلوب حلاوة الأسلوب وبراعة التعبير ، وجمال النظم كل هذا وجهة نظر العلامة النابة ابن القيم إليها ، فقام بدراستها فى كتابة النفيس " بدائع الفوائد "

---

(1) أخرجه الترمذى فى كتاب الحج ما يقرأ فى ركعتى الطواف .

(2) ذكر العلامة فخر الدين الرازى فى تفسيره ثلاثة وأربعين فائدة لقوله تعالى " قل " فى مستهل سورة الكافرون منها أن قوله تعالى " يا أيها الكافرون " على ما فيه من غلظة وخشونة قد يتعارض مع ما طبع عليه النبى صلى الله عليه وسلم وما أمر به من الرفق واللين كما قال تعالى " فبما رحمة من الله كنت لهم " سورة آل عمران آية : ١٥٩ فجاء هذا الأمر " قل " ليفيد أنه مأمور بهذه الغلظة . انظر مفاتيح الغيب ١٦ / ٧٠٤ مختصرا . ومنها أن موسى عليه السلام كان فى طبعه الخشونة فلما أرسل إلى فرعون قيل له – ولأخيه " فقولا له قولا لينا " طه : ٤٤ وأما محمد صلى الله عليه وسلم فلما أرسل إلى الخلق أمر بإظهار الخشونة تنبيها على أنه فى غاية الرحمة فقيل له : " قل يا أيها الكافرون " انظر هذه الوجوه فى مفاتيح الغيب ١٦ / ٧٠٤ : ٧١٥ .

حيث ذكر فى بيان فوائدها فرائض لا تكاد تجدها فى غيره من الكتب ، فأبدع فى ذلك وأفاد ، وأحسن وأجاد ، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء .

وإن من حق القارئ علينا أن نكشف له عن أن ابن القيم رحمهُ الله لم يكن يقصد فى البداية الكلام عن السورة . أو الكشف عن حقائقها . وأسرارها . ولكنه كان يتكلم عن أقسام " ما " فذكر منها الموصولة ثم عرض لـ " ما " فى قوله تعالى " لا أعبد ما تعبدون . ولا أنتم عابدون ما أعبد .... "

فجذب نظره إلى السورة بتمامها بما اشتملت عليه من شرف المعنى وجمال المبنى.

## فراح يتكلم عنها فى مسائل :

*الأولى :* عن " ما " حقيقتها وتفسيرها . وهو مقصده الأسمى فى الحديث عن السورة .

**وبعد أن انتهى من بيان هذه المسألة قال :**

وإذا قد أفضى بنا الكلام إلى هنا ، لنذكر فائدة ثانية على ذلك ، وهى تكرير الأفعال فى هذه السورة ، ثم فائدة ثالثة - وهى كونه كرر الفعل فى حق نفسه بلفظ المستقبل فى الموضعين ، وأتى فى حقهم بالماضى .... الخ [1]

ثم ذكر بقية الفوائد أو المسائل التى سنعرض لها إن شاء الله بالبيان والتحليل .

وهنا نبَّهَ إلى أن فى السورة فوائد وأسرارا ، ونكاتا تفسيرية لم يذكرها ابن القيم ، وتناولها غيره من المفسرين وهذه سوف أذكرها أيضا فى البحث كتتمة لكلام ابن القيم عن السورة مع التمييز الكامل بين كلام ابن القيم وكلام غيره ، غير ناس مطلقا أن الموضوع الرئيسى هو كلام ابن القيم عن السورة الكريمة .

**وقد حان الآن الشروع فى ذكر هذه المسائل وتلك الفوائد :**

*الأولى :* - قول تعالى ( لا أعبد ما تعبدون . ولا أنتم عابدون ما أعبد )

---

[1] بدائع الفوائد : ١ / ١٣٤ .

يذكر ابن القيم هاتين الآيتين عند حديثه عن " ما " وأقسامها ، فبدأ بالموصولة مبينا أنها فى حقيقتها للإبهام ، وهى فى ذلك تخالف" الذى " بديل - والكلام لابن القيم " أنها تقع على كل شىء وتقع ما ليس بشىء ألا تراك تقول : إن الله يعلم ما كان وما لم يكن "

ويذكر ابن القيم كذلك أن " ما " تخالف " الذى " فى أن " الذى " تثنى وتجمع وأما " ما " فليست كذلك .... الخ [١]

ثم ضرب أمثلة من القرآن الكريم تدع كلامه عن " ما " إلى أن وصل إلى آيتى سورة الكافرون هاتين ( لا أعبد ما تعبدون . ولا أنتم عابدون ما أعبد )

حيث بين أن " ما ط فى الآيتين هى الموصولة .

وعليه فالمعنى لا أعبد معبودكم ولا أنتم عابدون معبودى . ومعبودهم هو الأصنام التى عبدوها ظنا أنها تقربهم إلى الله زلفى . وأما معبودهُ صلى الله عليه وسلم فهو الله الخالق البارئ المصور .

وشتان بين من يعبد الإله الحق العبادة الخالصة . وبين من يعبد حجارة لا تنفع ولا تضر . فتلك عبادة الجاهل الذى لا يدرك معنى الألوهية . فكيف يظن فى هذه الحجارة أتاه تقرب إلى الله ؟ يقول ابن القيم : امتناعهم - يعنى المشركين . من عبادة الله ليس لذاته بل كانوا يظنون أنهم يعبدون الله ولكنهم كانوا جاهلين به فقوله ( ولا أنتم عابدون ما أعبد ) أى لا أنتم تعبدون معبودى ، ومعبودة هو صلى الله عليه وسلم كان عارف به دونهم وهم جاهلون به . [٢] ثم يعرض ابن القيم لرأى ثان فى " ما " فيقول :

**وقال آخرون** : إنها - أى " ما " - هنا مصدرية لا موصولة أى لا تعبدون عبادتى - أى ولا أعبد عبادتكم - ويلزم من تنزيههم عن عبادته تنزيههم عن المعبود ، لأن العبادة متعلقة به . [٣]

---

(١) بدائع الفوائد ١ / ١٣١ .

(٢) المصدر نفسه ١ / ١٣٣ .

(٣) انظر فى هذا الرأى حاشية الجمل ٤ / ٥٩٦ . ونقل الجمل عن بعضهم رأيا يقول : إن " ما " فى الآتيين الأوليين من السورة موصولة وفى الآيتين الأخريين مصدرية فالأوليان لنفى المعبود والآخريان لنفى العبادة . وهذا ما رجحه أيضا الإمام محمد عبده أثناء تفسير للسورة الكريمة وقال بعد أن ذكر مثل ما نقل الجمل قال

وهذا ما لا يرتضيه ابن القيم ، بل يعقب عليه بقوله : وليس هذا بشـــيء إذ المقصود براءته من معبودهم ، وإعلامه أنهم بريئون من معبوده تعالى فـــالمقصود المعبود لا العبادة .

ثم يتجاوز ابن القيم الحديث عن " ما " من حيث كونها مصدرية أو موصولة إلى جزئية أخرى . وهى لماذا عبر بما دون " من " فى قوله ( ما أعبد ) مع أن مـــا لغير العاقل ؟

يذكر ابن القيم الإجابة عن ذلك فى أقوال جعلها تتمة للحديث عن " ما " ولـــم يعنون لها بعنوان ينبه عليها ، ولا بسؤال كهذا إلى طرحته يلفت النظر إليها . وهـــذا ما تداركته أثناء العرض .

**يقول ابن القيم فى الإجابة عن هذا السؤال الذى طرحته :**

١ – قيل إنهم كانوا يقصدون مخالفته صلى الله عليه وسلم حسدا له وأنفه من اتباعه ، فهم لا يعبدون معبوده ، لا كراهية لذات المعبود ، ولكـــن كراهيـــة لا تباعـــة صلى الله عليه وسلم وحرصا على مخالفته فى العبادة ، وعلى هذا فلا يصح فى النظم البديع والمعنى الرفيع إلا لفظ " ما " لإبهامها ومطابقتـــها الغـــرض الـــذى تضمنته الآية .

٢ – وقيل – أى فى وجه التعبير بما – السبب قصـــد ازدواج الكـــلام فـــى البلاغـــة والفصاحة مثل قوله – تعالى – ( نسوا الله فنسيهم ) التوبة : ٦٧ .

وقوله تعالى – ( فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتـــدى عليكـــم ) سورة البقرة : ١٩٤ فكذلك ( لا اعبد ما تعبدون ) ومعبودهم .

لا يعقل ثم ازدوج مع هذا الكلام قوله ( ولا انتم عابدون ما أعبد ) فاســـتوى اللفظان وإن اختلف المعنيان ، ولهذا لا يجىء فى الإفراد مثل هذا بل لا يجـــىء إلا " من " كقوله تعالى :

( قل من يرزقكم ) يونس : ٣١ ( أمن يملك السمع ) يونس : ٣١ .

---

=: فمفاد الجملتين الأوليين الاختلاف التام فى المعبود ، ومفاد الجملتين الآخرين تمام الاختلاف فى العبـــادة ، فلا معبودنا واحد ، ولا عبادتنا واحدة ..... انظر تفسير جزء عم صـــ ١٦٨ .

( أمن يهديكم فى ظلمات البر والبحر ) النمل : ٦٣ ( أمن يجيب المضطر إذا دعاه ) النمل : ٦٢ ( أمن يبدأ الخلق ) النمل : ٦٤ إلى أمثال ذلك ١ . هـ

وهذا الذى ذكره ابن القيم هو ما يعرف عند البلاغيين بالمشاكلة وهى ذكر الشىء بلفظ غيره لوقوعه فى صحبته تحقيقا أو تقديرا . [١]

وواضح أن الاعتذار بالمشاكلة هو على مذهب من يقول : إن " ما " لا تقع على آحاد أولى العلم أما من يجوز ذلك وهو مذهب سيبويه فلا حاجة عنده إلى هذا الاعتذار . [٢]

٣- ويذكر ابن القيم وجها ثالثا فى الإجابة عن السؤال المطروح قال فيه وعندى فيه وجه أقرب من هذا كله ، وهو أن المقصود هنا ذكر المعبود الموصوف بكونه أهلا للعبادة مستحقا لها فأتى بـ " ما " الدالة على هذا المعنى - أى الوصف - كأنه قيل : ولا أنتم عابدون معبودى الموصوف بأنه المعبود الحق ، ولو أتى بلفظه " من " لكانت إنما تدل على الذات فقط ويكون ذكر الصلة تعريفا ، لا لأنه هو جهة العبادة : ففرق بين أن يكون كونه تعالى أهلا لأن يعبد تعريف محض - وهو ما يفيده التعبير بمن - أو وصف مقتضى لعبادته - وهو ما أفاده التعبير بما - فتأمله فإنه بديع جدا . وهذا معنى قول محققى النحاة : إن " ما " تأتى لصفات من يعلم . ونظيره - قوله تعالى : - ( فانكحوا ما طاب لكم من النساء ) النساء آية : ٣ لما كان الوصف هو المراد ، وأنه السبب الداعى إلى الأمر بالنكاح عبر بـ " ما " أى فانكحوا الطيب من النساء ولا يصح التعبير هنا بـ " من " لأنها لا تدل على الوصف بل تدل على الذات . [٣]

ونستطيع من خلال كلام ابن القيم عن " ما " أن نكون رأياً له جامعا لكلامه خلاصة : أن " ما " فى الموضعين ( لا أعبد معبود كم - وهو الأصنام - ولا تعبدون معبودى - وهو الله وحده .

---

[١] الإتقان ٢ / ٩٤ .

[٢] حاشية الجمل ٤ / ٥٩٨ .

[٣] انظر هذه الوجوه فى بدائع الفوائد ١ / ١٣٣ ، ١٣٤ بتصرف يسير .

وإنما عبر بـ " ما " فى قوله ( ما أعبد ) وهى خاصة بما لا يعقل إما على سبيل المشاكلة ، أو على سبيل الوصف [١] أى ولا أنتم عابدون معبودى الموصوف بأنه المعبود الحق .

وفى تصورى إن رأى ابن القيم فى ذلك له قيمته ووجاهته ويتممه القول القائل بأن " ما ط فى الآيتين الأخريين ( ولا أنا عابد ما عبدتم . ولا أنتم عابدون ما أعبد ) مصدرية ففى ذلك شمول وسعة حيث تكون الآيات قد نفت التوافق بينه صلى الله عليه وسلم وبين المشركين فى المعبود أولا ثم فى العبادة ثانيا .

أى هما لا يلتقيان مطلقا لا من ناحية الشكل ولا من ناحية الجوهر .

**المسألة الثانية** :- التى عرض لها ابن القيم فى سورة " الكافرون " وهى مسألة تكرار الأفعال ( أعبد ، تعبدون ، عبدتم ) واسم الفاعل المشتق منها ( عابد ، عابدون) .

هنا نجد ابن القيم يقرر أن تكرار لفظ العبادة بصيغة الفعل أو اسم الفاعل ليست للتأكيد كما يقرر ذلك كثير من المفسرين [٢]

ولكن كل صيغة منها - كما يرى ابن القيم - أفادت إثبات عبادة النبى صلى الله عليه وسلم لله ونفى عبادته للأصنام فى زمن معين من الماضى والحال والاستقبال ، وأفادت كل صيغة منها فى ذلت الوقت إثبات نقيض ذلك بالنسبة للكافرين .

## وفى ذلك يقول ابن القيم .

فأما المسألة الثانية وهى فائدة تكرار الأفعال ، فقيل فيه وجوه ثم نراه لا يعرض إلا بوجه واحد من هذه الوجوه يستحسنه ويقتصر عليه ز وحاصل هذا الوجه عند ابن القيم أن قوله ( لا أعبد ما تعبدون ) نفى للحال والمستقبل ز وقوله ( ولا أنتم عابدون ما أعبد ) مقابله أى لا تفعلون ذلك قط . وقوله ( ولا أنا عابد ما

---

(١) وهذا اتجاه الزمخشرى فى الكشاف ٤ / ٢٩٣ حيث قال فإن قلت : فلم جاء على " ما " دون " من " ؟ قلت : لأن لمراد الصفة كأنه قال : لا أعبد الباطل ولا تعبدون الحق .

(٢) القرطبى ط الشعب ص ـــ ٧٣١٦ ، حاشية الجمل ٤ / ٥٩٧ . تأويل مشكل القرآن ص ـــ ٢٢٧ .

عبدتم) أى لم يكن ذلك فى قط قبل نزول الوحى [١] ولا هذا أتى فى عبادتهم لفظ الماضى فقال ( ما عبدتم ) . فكأنه قال : لم أعبد قط ما عبدتم . وقوله ( ولا أنتم عابدون ما اعبد ) مقابلة أى تعبدوا قط فى المستقبل ما أعبده أنا دائما . وعلى هذا فلا تكرار أصلا . وقد استوفت الآيات أقسام النفى ماضيا وحالا ومستقبلا عن عبادته وعبادتهم بأوجز لفظ وأخصره وأبينه وهذا إن شاء الله أحسن ما قيل فيها فلنقتصر عليه ولا نتعداه إلى غيره .

فإن الوجوه التى قيلت فى مواضعها [٢] فعليك بها أ . هـ [٣]

ولا شك أن تفسير هذه الآيات بهذه الطريقة التى تجعلها مؤسسة لمعان جديدة أولى من حملها على التأكيد فمن المعلوم أن التأسيس أولى من التأكيد .

---

[١] قد يعكر على ذلك أن اسم الفاعل المنون العامل عمل الفعل ، لا يكون إلا بمعنى الحال أو الاستقبال و" عابد " هنا عامل فى " ما " وكذلك " عابدون " والجواب عن ذلك كما يقول صاحب النموذج الجليل : إنه على الحكاية . كما قال تعالى : ( وقلبهم باسط ذراعيه بالوصيد ) الكهف : ١٨ . النموذج الجليل ص ٥٥٤ والمناسب هنا أن نعرض لرأى لصاحب الكشاف مسافة على طريقة فإن قلت لتناقشه فيه . قال صاحب الكشاف : فإن قلت فهلا قيل ولا أنتم عابدون ما عبدتم كما قيل : ما عبدتم ؟ قلت : لأنهم كانوا يعبدون الأصنام قبل المبعث وهو لم يكن يعبد الله تعالى فى ذلك الوقت . الكشاف ٤ / ٢٩٣ قال فى النموذج الجليل: ويرد على هذا أن أعظم العبادة التوحيد وكل الأنبياء كانوا موحدين بعقولهم قبل البعثة . . النموذج الجليل ص ٤٤٥ وقال ابن المنير : والحق أن صلى الله عليه وسلم كان يعبد قبل الوحى ويتحنث فى غار حراء ، وعبر بالمضارع دون الماضى فى ( أعبد ) لأن الماضى لم تحصل فيه العبادات الخاصة التى علمت عن طريق الوحى ، أو أن القصد تصوير عبادته فى نفس السامع وأما توحيد الله ومعرفته فإن ذلك ثابت له صلى الله عليه وسلم قبل البعث .

[٢] من هذه الوجوه ما ذكره الجمل عن الأخفش الذى قال : - إن المعنى لا أعبد الساعة ما تعبدون ولا أنتم عابدون الساعة ما أعبد لولا أنا عابد فى المستقبل ما عبدتم ولا أنتم عابدون فى المستقبل ما أعبد أ . هـ حاشية الجمل ٤ / ٥٩٧ وبعضهم يجعل الأول للاستقبال والثانى للحال وقال بعضهم : كل واحد منهما يصلح لحال وللاستقبال ولكنا نخص أحدهما بالحال والثانى للاستقبال دفعا للتكرار . مفاتيح الغيب ١٦ / ٧١٧ ، ٧١٨ . وفى النموذج الجليل ص ٥٥٤ جاء الكلام مكررا لأن سؤالهم كان مكررا حيث قالوا : يا محمد تعبد آلهتنا كذا مدة ونعبد إلهك كذا مدة ثم تعبد آلهتنا كذا مدة ونعبد إلهك كذا مدة فورد الجواب مكررا ليطابق السؤال أ . أ . هـ

[٣] بدائع الفوائد ١ / ١٣٥ الفوائد المشوق ص ١٦٤ .

**المسألة الثالثة** :- التى عرض لها ابن المقيم :

وهى مسألة تكرير الأفعال ، وما اشتق منها فى حقه صلى الله عليه وسلم بلفظ المستقبل وذلك حين أخبر عن نفسه ، وأما حين أخبر عن الكافرين ، فقد أخبر بلفظ الماضى .

يعرض ابن القيم لهذه المسألة ، وبعد أن ينتهى من تقريرها ، نراه يجيب عنها فيقول : فى ذلك سر وهو الإشارة والإيماء إلى عصمة الله له - صلى الله عليه وسلم من الزيغ والانحراف عن عبادة معبوده و الاستبدال به غيره ، وان معبوده واحد فى الحال والمآل على الدوام لا يرضى به بدلا ولا يبغى عنه حولا بخلاف الكافرين فإنهم يعبدون أهواءهم . ويتبعون شهواتهم فى الدين وأغراضهم ، فهم بصدد أن يعبدوا اليوم معبودا ، وغدا غيره ، فقال ( لا أعبد ما تعبدون ) يعنى الآن ( ولا أنتم عابدون ما أعبد ) أنا الآن أيضا ثم قال ( ولا أنا عابد ما عبدتم ) يعنى ولا أنا فيما يستقبل يصدر منى عبادة لما عبدتم أيها الكافرون / هـ وهنا نلاحظ أن ابن القيم جعل هذه الآية معبرة عن المستقبل وليس عن الماضى كما سبق أن قرر وبذلك يكون للآية تفسيران عند ابن القيم أحدهما يتعلق بنفى العبادة فى الماضى وعليه فالتعبير اسم الفاعل على سبيل الحكاية كقوله تعالى ( وكلبهم باسط ) والآخر يتعلق بنفى العبادة فى المستقبل وهو الأصل الذى يدل عليه التعبير باسم الفاعل المنون .

ثم لا يكتفى ابن القيم بهذا بل يشير إلى أن معنى الآية ( ولا أنا عابد ما عبدتم ) أعمق من هذا فإن فى ( ما ) رائحة الشرط ، ولذلك وقع الفعل بعدها ماضيا وهو مستقبل فى المعنى كما يجىء ذلك بعد حرف الشرط كأنه يقول : مهما عبدتم من شىء فلا أعبده أنا . وهو إذ يقرر هذا يرجع إلى كلامه فيدافع عن فكرته التى قررها ، ويدفع اعتراضا افترضه فى نفسه فقال :

فإن قيل : وكيف يكون فيها الشرط وقد عمل فيها الفعل ولا جواب لها وهى موصولة فما أبعد الشرط منها ، قلنا : لم نقل إنها شرط ولكن فيها رائحة منه وطرف من معناه لوقوعها على غير معين وإبهامها فى المعبودات وعمومها وأنت إذا ذقت معنى هذا الكلام وجدت معنى الشرط بادياً على صفحاته فإذا قلت لرجل ما

تخالفه فى كل ما يفعل : أنا لا أفعل ما تفعل [١] ألست ترى معنى الشرط قائمـــا فـــى كلامك وقصدك وأن روح هذا الكلام مهما فعلت من شىء فإنى لا افعله ...

فإذا ثبت فقد صحت الحكمة التى من أجلها جاء الفعل بلفظ الماضى من قوله ( ولا أنا عابد ما عبدتم ) بخلاف قوله ( ولا أنتم عابدون ما أعبد ) لبعد ما فيها عـن معنى الشرط تنبيها من الله على عصمة نبيه أن يكون له معبود سواه وأن يتنقل فـى المعبودات تنقل الكافرين أ . هـ [٢] ومن خلال كلام ابن القيم هذا تـــدرك أن لقولـــه تعالى فى حق الكفار ( ولا أنا عابد ما عبدتم ) بلفظ الماضى فائدتين :

*إحداهما :-* أن المشركين غير دائمين على عبادة ما يعبدون ، وغير ثـــابتين علـــى آلهتهم ، بل هم دائموا التقلب فى عبادة ما يعبدون .

*وثانيهما :-* أن النبى صلى الله عليه وسلم ثابت راسخ القدم على عبـــادة الله تعـــالى وحده وعدم اتخاذ شريك من دونه . لا فى الماضى ولا فى الحاضر ولا فـــى المستقبل وذلك مستفاد من قوله : ( ما عبدتم ) حيث فيه رائحة الشرط كأنـــه قال: مهما عبدتم من معبود فإنى لا أعبده من دون الله ... .

**المسألة الرابعة** :■ وهى إتيان النفى فى حق المشركين باسم الفـــاعل ( ولا أنتـــم عابدون ما أعبد ) كررت مرتين فى حق المشركين .

وأما فى حقه صلى الله عليه وسلم فقد جاء النفى بالفعل المستقبل تـــارة ( لا أعبد ما تعبدون ) وباسم الفاعل أخرى ( ولا أنا عابد ما عبدتم )

يرى ابن القيم أن لهذا حكمة بديعة وهى : - " أن المقصود العظيم براءتـــه من معبوديهم بكل وجه وفى كل وقت ، فأتى أولاً بصيغة الفعل الدالة على الحـــدوث والتجدد ، ثم أتى فى هذا النفى بعينه بصيغة اسم الفاعل الدالة على الوصف والثبـوت فأفاد فى النفى الأول أن هذا لا يقع منى وأفاد فى الثانى أن هذا ليـــس وصفـــى ولا شأنى فكأنه قال : عبادة غير الله لا تكون فعلا لى ولا وصفا فأتى بنفييـــن لمنفييـــن مقصودين بالنفى ، وأما فى حقهم فإنما أتى بالاسم الدال على الوصف والثبـوت دون

---

[١] هكذا فى بدائع الفوائد ١ / ١٣٦ ولعل الصواب ما فعلت ليطابق ( ما عبدتم )

[٢] بدائع الفوائد ١/ ١٣٩ ، ١٣٦ .

الفعل ، أى أن الوصف الثابت اللازم العائد لله ، منتف عنكم فليس هذا الوصف ثابتا لكم ، وإنما ثبت لمن خص الله وحده بالعبادة لم يشرك معه فيها أحدا ، وأنتم لما عبدتم غيره فلستم من عابديه ، وإن عبدوه فى بعض الأحيان فإن المشرك يعبد الله ويعبد معه غيره[١]

من خلال هذا الكلام نعلم أن صيغة الفعل فى حق النبى صلى الله عليه وسلم أفادت أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن لتقع منه عبادة غير الله فهو لم يفعل ذلك وأما صيغة الفاعل فى حقه أيضا فقد أفادت الوصف أى ليس ذلك من صفتى ولا من شأنى ، فالمقصود نفى الفعل ونفى الموصف بالشرك .

وأما صيغة الفاعل فى حق الكافرين ، فقد أفادت نفى الوصف بالتوحيد ، والإخلاص لله العبادة .

ولم يعبر بنفى الفعل فى حقهم لأنه وقع منهم عبادة الله لكن بإشراك غيره معه ، كما قال سبحانه عن المشركين ( ما نعبدهم إلاَّ ليقربونا إلى الله زلفى ) الزمر: ٣ وقال عن أهل الكهف ( وإذا اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله) الكهف : ١٦ ففى ذلك دليل على أن المشركين يعبدون الله ولكن لا يخصونه وحده بهذه العبادة بل يشركون ...

**المسألة الخامسة** : فى هذه المسألة ناقش ابن القيم النفى بـ " لا " دون " لن " فى قوله عالى ( لا أعبد ما تعبدون )

**يقول ابن القيم :** أتى النفى فى هذه السورة بأداة " لا " دون " لن " [٢] لأن النفى بـ " لا " أبلغ منه بـ " لن " وأنها أدل على دوام النفى وطوله من " لن " وأنها للطول والمد الذى فى نفيها طال النفى بها واشتد وإن هذا ضد ما فهمته

---

[١] بدائع الفوائد ١ / ١٣٧ .

[٢] قال الخليل " لن " أصله لا أن انظر الكشاف ٤ / ٢٩٢ وقيل : هو حرف غير مركب ورجحه صاحب النحو الوافى ٤ / ٢٩٩ .

الجهمية والمعتزلة من أن " لن " إنما تنفى المستقبل [١] ولا تنفى الحال المستمر فى الاستقبال أ . هـ .

فأداة النفى " لا " أعم وأوسع من " لن " لأنها لا تخص زمنا معينا فهى تستعمل للماضى [٢] وللحال والاستقبال فأفادت هنا نفى عبادته صلى الله عليه وسلم للأوثان فى كل وقت ، ثم هى لا تختص بالأفعال مثل " لن " بل تنفى الأسماء كذلك ولذلك كان النفى بها أكد .

ومعنى كلام ابن القيم أن " لا " أدل على دوام النفى من " لن " أى من حيث كونها تعم جميع الأزمنة دون انتهاء إذا كان التعبير بها مطلقا أى غير مقيد بوقت معين كمن يقول لا أفعل كذا اليوم أو غدا وأما " لن " فهى لنفى المستقبل

قال الزركشى : من خواص " لن " أنها تنفى ما قرب ولا يمتد معنى النفى فيها كامتداد معناها أ . هـ [٣] .

وقال ردا على المعتزلة وغيرهم من يقولون إن " لن " تفيد التأبيد فى النفى محتجين فى ذلك بقول أهل اللغة إن " لن " تفيد التأبيد فى النفى [٤] .

---

[١] " لن " تنفى كذلك الحال المستمر فى الاستقبال مثل قوله تعالى ( فلن أكلم اليوم إنسيا ) مريم : ٢٦ فقد نفى الحال الممتد إلى المستقبل لكنه لا تفيد الاستمرار إلى ما لا نهاية مثل " لا " قال صاحب النحو الوافى فمن يقول : لن أسافر أو لن أشرب فإنما يريد نفى السفر والشرب فى قابل الأزمنة مدة معينة يعود بعدها إلى السفر وغلى الرب انظر النحو الوافى ٤ / ٢٩٩ .

[٢] من استعمالات " لا " فى الماضى قوله تعالى ( فلا صدق ولا صلى ) القيامة : ٣١ وقوله تعالى ( فلا اقتحم العقبة ) البلد : ١١

[٣] البرهان فى علوم القرآن ٤ / ٣٨٧ .

[٤] قال فخر الدين الرازى : ما نقل عن أهل اللغة أن كلمة " لن " للتأبيد قال الواحدى – رحمه الله – هذه باطلة على أهل اللغة ، وليس يشهد بصحته كتاب معتبر ولا نقل صحيح ز قال الرازى : وقال أصحابنا : الدليل على فساده قوله تعالى فى صفة اليهود ( ولن يتمنوه أبدا ) البقرة : ٩٥ مع أنهم يتمنون الموت يوم القيامة . مفاتيح الغيب ٧ / ٢٧١ . وقال صاحب النحو الوافى " لن " حرف يفيد النفى بغير دوام ولا تأبيد إلا بقرنة خارجة عنه فإا دخل على الضارع نفى معناه فى الزمن المستقبل المحض – غالبا – نفيا مؤقتا يقصر أو يطول من غير أن يدوم ويستمر . النحو الوافى صـ ٢٩٩ .

قال الزركشي : التأبيد لا يدل على الدوام . تقول : زيد يصوم أبدا ويصلي أبدا - أي ليس معنى ذلك أنه لا ينتهي من الصوم أو الصلاة . وبهذا يبطل تعلق المعتزلة بأن " لن " تدل على امتناع الرؤية - أي في قوله تعالى (لن تراني ) الأعراف : ١٤٣ - ولو نفى بـ " لا " لكان لهم فيه متعلق أ.هـ[١] .

فقد كان من حجج المعتزلة على نفي رؤية الله تعالى المعنى الذي فهموه عن " لن " في قوله تعالى : ( لن تراني ) فقد فهموا أن معناه التأبيد [٢] الذي لا ينتهي أي لن تراني مطلقا في أي وقت لكن إذا علمنا أن التأبيد الذي عناه أهل اللغة في النفي بـ " لن " لا يعني الاستمرار إلى مالا نهاية ، ولكن إلى وقت معين ، فحينئذ لا يكون للمعتزلة ، ولا لغيرهم ممن ساروا على دربهم في معنى " لن " تعلق ولا حجة والعلم عند الله .

المسألة السادسة : وهي اشتمال السورة على النفي المحض سواء في جانب الرسول صلى الله عليه وسلم أو في جانب المشركين .

يقول ابن القيم :- إن هذا خاص بهذه السورة - والسبب في ذلك - أنها براءة من الشرك ، كما جاء في وصفها إنها براءة من الشرك فمقصودها الأعظم هو البراءة المطلوبة بين الموحدين والمشركين ، ولهذا أتى بالنفي في الجانبين تحقيقا للبراءة المطلوبة أ . هـ .

قلت : وفي القرطبي عن ابن عباس : ليس في القرآن أشد غيظا لإبليس منها لأنها توحيد وبراءة من الشرك . [٣]

وقد مضى في فضائل السورة حديث أبي داود وفيه ( فإنها براءة من الشرك) .

ثم يستدرك ابن القيم ويقول : هذا مع أنها - أي السورة - متضمنة للإثبات صريحا فقوله ( لا أعبد ما تعبدون ) براءة محضة ( ولا أنتم عابدون ما أعبد) إثبات

---

[١] البرهان للزركشي ٤ / ٣٨٨ .

[٢] انظر الكشاف ٢ م ١١٢ ، وانظر مفاتيح الغيب ٧ / ٢٧١ .

[٣] القرطبي صـ ٧٣١٥

أن له معبودا يعبده ، وأنتم بريئون من عبادته فتضمنت النفى والإثبات وطابقت قول إمام الحنفاء ( إننى براء مما تعبدون إلا الذى فطرنى ) الزخرف:٢٧،٦ وطابقت قول الفئة الموحدين ( وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله ) الكهف:١٦ فانتظمت حقيقة لا إله إلا الله ، ولهذا كان النبى صلى الله عليه وسلم يقرنها بسورة " قل هو الله أحد) فى سُنَّةِ الفجر وسنة المغرب [١] فإن هاتين السورتين سورتا الإخلاص [٢] وقد اشتملت على نوعى التوحيد الذى لا نجاة للعبد ولا فلاح إلا بهما ، وهما توحيد العلم والاعتقاد ، المتضمن تنزيه الله ، عما لا يليق به من الشرك والكفر والولد والوالد وأنه إله أحد صمد ، لم يلد فيكون له فرع ، ولم يولد فيكون له أصل ، ولم يكن له كفوا أحد فيكون له نظير ، ومع هذا فهو الصمد الذى اجتمعت له صفات الكمال ، ونفى ما لا يليق به من الشريك أصلا ، وفرعا ونظيرا ، فهذا توحيد العلم والاعتقاد ، والثانى - توحيد القصد والإرادة ، وهو أن لا يعبد إلا إياه ، فلا يشرك به فى عبادته سواه .

بل يكون هو وحده المعبود ، سورة " الكافرون " مشتملة على هذا النوع من التوحيد ، فانتظمت السورتان نوعى التوحيد ، وأخلصتا له ، فكان صلى الله عليه وسلم يفتتح بهما النهار فى سنة الفجر ويختم بهما فى سنة المغرب وفى السفن أنه كان يوتر [٣] بهما فيكونا خاتمة عمل الليل كما كانا خاتمة على النهار أ . هـ [٤] .

هذا كلام قيم لا يقوى على عرضه بهذه الصورة سوى ابم المقيم ، فقد ربط رحمة الله بين سورتى الإخلاص ( الصمد / والكافرون ) برباط متين أحسن فيه وأجاد ، فكل من السورتين تكمل الأخرى . فبسورة الصمد يتحقق توحيد العلم والاعتقاد .

وبسورة " الكافرون " يتحقق توحيد القصد والإرادة أو العبادة .

ومجموع السورتين تنتظم حقيقة لا إله إلا الله .

---

[١] مضى فى فضائل السورة ما يدل على ذلك .

[٢] مضى فى أسماء سورة الكافرون أنها تسمى سورة الإخلاص .

[٣] مضى فى فضائل السورة ما يدل عى ذلك كله .

[٤] بدائع الفوائد ١/ ١٣٨ .

وهذا يفسر لنا حرص النبى صلى الله عليه وسلم على أنه يبتدئ بهما فى أول النهار فى ركعتى الفجر ، ويختم بهما النهار ويفتتح بهما الليل فى سنة بعد المغرب ، ثم يختم بهما الليل فى الوتر .

جزى الله بن القيم خير الجزاء على هذا التحقيق الطيب .

**المسألة السابعة** :■ وهى مناداتهم بـ ( يا أيها الكافرون ) دون الذين كفروا .

يعلل ابن القيم ذلك بعد تفويض العلم إلى الله بأن السبب " إرادة الدلالة على أن من كان الكفر وصفا ثابتا له لازما لا يفارقه ، فهو حقيق أن يتبرأ الله منه ويكون هو أيضا بريئا من الله ، فحقيق بالموحد البراءة منه فكان فى معرض البراءة التى هى غاية البعد والمجانبة بحقيقة حاله التى هى غاية الكفر وهو الكفر الثابت اللازم فى غاية المناسبة فكأنه يقول كما أن الكفر لازم لكم ثابت لا تنتقلون منه فمجانبتكم والبراءة منكم ثابتة دائما أبدا ، ولهذا أتى فيها بالنفى الدال على الاستمرار مقابلة الكفر الثابت المستمر أ . هـ [1] وحول هذا النداء بحوث ذكرها علماء والتفسير لم يتعرض لها ابن المقيم منها .

١- ما أشار إليه القرطبى نقلا عن ابن الأنبا رى من أن بعض من طعن فى القرآن الكريم كان يقرأ الآية : قل للذين كفروا لا أعبد ما تعبدون زاعما أن ذلك هو الصواب . ثم يقول ابن الأنبا رى فيما نقله القرطبى وذلك افتراء على رب العالمين وتضعيف لمعنى هذه السورة وإبطال قصده الله من أن يذل نبيه المشركين بخطابه إياهم بهذا الخطاب الزرى ..... فمن لم يقرأ ( قل يا أيها الكافرون ) كما أنزلها الله اسقط آية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وسبيل أهل الإسلام ألا يسارعوا إلى مثلها [2].

٢- وبحثوا أيضا مسألة العموم والخصوص فى هذا النداء ( يا أيها الكافرون ) هل هو عام فى كل الكفار أم خاص بقوم معينين ؟

---

[1] بدائع الفوائد ١/ ١٣٩ .

(٣) تفسير القرطبى صـ ٧٣١٦ .

والجواب أنه خاص بقوم معينين ، وهم الموجودون وقت الخطاب الذين قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم : نعبد إلهك سنة ، وتعبد إلهنا سنة ، لأنه لا يجوز أن يكون قوله تعالى : ( لا أعبد ما تعبدون ) خطابا مع الكل لأن فى الكفار من يعبد الله كاليهود والنصارى .

فكيف يقول لهم : لا أعبد ما تعبدون ؟

وكذلك لا يجوز أن يكون قوله ( ولا أنتم عابدون ما أعبد ) خطابا مع الكل ، لأن فى الكفار من آمن وصار بحيث يعبد الله .

يقول الفخر الرازى : والحاصل أنا لو حملنا الخطاب على العموم دخل التخصيص ، لو حملنا على أنه خطاب مشافهة لم يلزمنا ذلك فكان حمل الآية على هذا المحمل الثانى أولى . [١]

وقال الجمل : قد يقال كيف يقول لهم ( ولا أنتم عابدون ما أعبد ) الذى هو نفى لإسلامهم ، وتيئس منه مع أنه مبعوث لهدايتهم ومع أنه كان حريصا على إيمانهم ؟

والجواب أن هذا فى حق قوم علم الله أنهم لا يؤمنون أبداً فأخبر نبيه بأن يخبرهم بحاله لتظهر شقاوتهم كل الظهور أ . هـ [٢] فهو إذن مثل قول الله تعالى لنوح عليه السلام ( لن يؤمن من قومك إلا من قد أمن ) هود: ٣٦ .

٣- ورد فى سبب نزول هذه السورة أن الكافرين حين عرضوا على النبى صلى الله عليه وسلم أن يعبد آلهتم سنة وأن يعبدوا إلهة سنة نزلت سورة " الكافرون " ونزل قوله تعالى ( قل أفغير الله تأمرونى أعبد أيها الجاهلون ) الزمر : ٦٤ .

فلم وصفهم بالجهل مرة وبالكفر أخرى ؟ [٣]

---

[١] تفسير الفخر الرازى ١٦ / ٧١٧ .

[٢] حاشية الجمل ٤ / ٥٩٨ ، ابن كثير ٤ / ٦٠

[٣] قال السيوطى : رواه ابن عبد البر عن أبى هريرة ونصه " علم النسب علم لا ينفع وجهالة لا تضرم وهو ضعيف حيث رمز له السيوطى بالضاد انظر الجامع الصغير ٢ / ٦٥ .

والجواب عن ذلك أن الجهل أصل الكفر أو كما قال النيسابورى : الجهل كالشجرة والكفر كالثمرة وإن كان الكفر أشنع من الجهل لأن الجهل أحيانا يكون غير ضار كما قال النبى صلى الله عليه وسلم عن علم الأنساب ( علم لا ينفع وجهل لا يضر ) وخصت سورة " الكافرون " بهذا الخطاب لأن السورة بأسرها نازلة فيهم بخلاف سورة الزمر فقد نزلت فيهم وفى غيرهم .

قال الفخر الرازى : لم قال تعالى فى سورة التحريم ( يا أيها الذين كفروا) التحريم : ٧ ولم يذكر " قل " وها هنا ذكر " قل " وذكره باسم الفاعل ؟ والجواب : أن الآية المذكورة فى سورة التحريم إنما تقال لهم يوم القيامة وثمة لا يكون الرسول رسولا إليهم فأزال الواسطة ، وفى ذلك الوقت يكونون مطيعين لا كافرين ، فلذلك ذكره بلفظ الماضى .

وأما ها هنا فهم كانوا موصوفين بالكفر ، وكان الرسول رسولا إليهم فلا جرم قال ( قل يا أيها الكافرون ) أ . هـ [1]

وقد ذكر الفخر الرازى ثلاثة وأربعين فائدة لاستهلاك السورة بالأمر ( قل ) وقد مضت الإشارة إلى ذلك وقد نقلت بعض هذه الوجوه .

**المسألة الثامنة** :- هذه المسألة فى صورة سؤال نصه :

ما هى الفائدة فى قوله ( لكم دينكم ولى دين ) وهل أفاد هذا معنى زائدا على ما تقدم ؟

ثم أجاب عنه بقوله : يقال فى ذلك من الحكمة - والله أعلم - إن النفى الأول أفاد البراءة وأنه يتصور منه ولا ينبغى له أن يعبد معبودهم وهم أيضا لا يكونون عابدين لمعبوده . وأفاد آخر السورة إثبات ما تضمنه النفى من جهتهم من الشرك والكفر الذى هو حظهم وقسمهم ونصيبهم فجرى ذلك مجرى من اقتسم هو وغيره أرضا ، فقال له : لا تدخل فى حدى ولا أدخل فى حدك لك أرضك ولى أرضى فتضمنت الآية أن هذه البراءة اقتضت أنا اقتسمنا خطتنا بيننا فأصبنا التوحيد

---

[1] تفسير الفخر الرازى ١٦ / ٧١٦ .

والإيمان فهو نصيبنا وقسمنا الذى نختص به لا تشركونا فيه ، وأصابكم الشرك بالله والكفر به ، فهو نصيبكم وقسمكم الذى تختصون به لا نشرككم به أ . هـ [١]

وحاصل كلام ابن القيم أن النفى الذى جاء فى أول السورة وهو ( لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد .... ) أفاد براءته من معبوديهم وأنه لا ستصور منه عبادة معبوديهم ، وهم كذلك لا يتصور منهم عبادة الله . ثم كانت هذه الآية الأخيرة ( لكم دينكم ولى دين ) كالنتيجة لهذا النفى وتلك البراءة . وهى اقتسام التوحيد والشرك بينهما فكان نصيب النبى صلى الله عليه وسلم التوحيد . ونصيبهم الشرك والكفر .

وتحليل ابن المقيم هذا يرد على من ظنوا أن الآية جاءت لتقر كلا على دينه وحينئذ تكون الآية مخصومة أو منسوخة .

وهذا ما سيأتى الحديث عنه فى المسألة العاشرة إن شاء الله تعالى .

**المسألة التاسعة** : وهى تقديم ما يختص بالكفار فى آخر السورة ( لكم دينكم )[٢] على ما يختص به صلى الله عليه سلم ( ولى دين ) .

وفى أول السورة قدم ما يختص به ( لا أعبد ما تعبدون ) على ما يختصون به ( ولا أنتم عابدون ما أعبد ) . فما السر فى ذلك ؟

يرى ابن القيم أن فى ذلك من أسرار الكلام وبديع الخطاب ما لا يدركه إلا فحول البلاغة وفرسانها، ويقرر أن ذلك من قبيل التهكم بهؤلاء الكفار الذين رضوا بان الشرك نصيبهم وحظهم بل فرحوا بذلك .

ويضرب ابن القيم لذلك مثلا بمن اقتسم هو وغيره سُما وشفاء فرضى مقاسمه بالسم ، فإنه يقول له : لا تشاركنى فى قسمى ولا أشاركك فى قسمك لك قسمك ولى قسمى .

---

[١] بدائع الفوائد ١ / ١٣٩ .

[٢] تقدم الخبر على المبتدأ هنا يفيد الحصر أى هذا دينكم وحدكم لا ينالنى منه شىء فهو خاص بكم ولا يتعداكم إلىّ .

فتقديم ذكر قسمه هنا أحسن وابلغ كأنه يقول له : هذا قسمك الذى آثرته بالتقديم وزعمت أنه أشرف القسمين وأحقهما بالتقديم ، فكان فى تقديم ذكر قسمه من التهكم به والنداء على سوء اختياره ، وقبح ما رضيه لنفسه من الحسن والبيان ما لا يوجد فى ذكر تقديم قسم نفسه والحاكم فى هذا هو الذوق ... [١] .

هذا وجه فى الجواب عن السؤال المطروح .

ثم يذكر ابن القيم وجها آخر يرى فيه أن السبب فى تقديم ( لكم دينكم ) على ( لى دين ) هو المطابقة أول السورة لأخرها لأنها بدئت ببراءة النبى صلى الله عليه وسلم مما يعبد المشركون , ثم جاء قوله ( لكم دينكم ) ليطابق ما ابتدئت به السورة من براءة النبى صلى الله عليه وسلم من عبادة غير الله كأنه قال : لا أعبد غير الله مما تعبدون فهذا شأنكم أنتم ، وذاك دينكم الذى تختصون به أما أنا لى دين.

وبذلك يكون الكلام منسجما غاية الانسجام إذا المقصود براءة النبى صلى الله عليه وسلم مما يعبد المشركون ومما يدينون به . ونص كلام ابن القيم فى هذا .

وهناك - وجه ثان وهو أن مقصود السورة براءته صلى الله عليه وسلم من دينهم ومعبود هم هذا هو لبها ومغزاها ، وجاء ذكر براءتهم من دينه و معبودة بالقصد الثانى مكملا لبراءته ومحققا لها . فلما كان ( لكم دينكم ) مطابقا بهذا المعنى أى لا أشارككم فى دينكم ولا أوافقكم عليه ، بل هو دين تختصون أنتم به لا أشرككم فيه أبدا فطابق آخر السورة أو لها فتأصله أ . هـ [٢] .

**المسألة العاشرة** :- تتعلق هذه المسالة كذلك بقوله تعالى ( لكم دينكم ولى دين ) من حيث هل هو إقرار فتكون الآية مخصوصة أو منسوجة ؟
أو المر ليس كذلك بالمرة ؟

يقول ابن القيم : هذه مسألة شريفة من أهم المسائل المذكورة وقد غلط فى السورة خلائق وظنوا أنها منسوخة بآية السيف [٣] لاعتقادهم أن هذه الآية

---

[١] بدائع الفوائد ١ م ١٤٠ .

[٢] بدائع الفوائد ١/ ١٤٠ .

[٣] وهذا اتجاه القرطبى صـ ٧٣١٩ .

اقتضت التقرير لهم على دينهم ز وظن آخرون أنها مخصوصة بمن يقرون على دينهم ، وهم أهل الكتاب وكلا القولين غلط محض ، فلا نسخ في السورة ولا تخصيص لأنها لا تتضمن إقرار الكفار على دينهم بدليل أن النبى صلى الله عليه وسلم ظل سنوات طوالا يجاهد الكفار من أجل طرح عبادة الأصنام والإقبال على عبادة الله ، ولم يقصر فى ذلك يوماً ، فكيف يقال إن هذه الآية إقرار لدين الكفار .

ثم إن هذه الآية من آيات العقائد ، وموضوعها هو التوحيد ، الذى من أجله بعث الله الأنبياء و المرسلين ، وموضوع كهذا لا يدخله النسخ .

وقصارى ما تحتمله الآية أو تحمله هو تهديد الكفار والتهكم بهم ، أى سوف تعلمون المصير الذى ستصلون إليه بدينكم فهو كقوله تعالى : ( اعملوا ما شئتم ) [1] فكيف يقال بعد ذلك : إن الآية منسوخة بآية السيف ؟ !!

هذا ما يسر الله به ولله الحمد فى البداية والنهاية

---

[1] سورة فصلت : ٤٠ .

# قائمة بأهم المراجع


١- القرآن الكريم جل من أنزله .

٢-الإتقان فى علوم القرآن - جلال الدين السيوطى - دار الفكر .

٣- الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الأغزال - ابن المنير - ط الدار العالمية بـــها مش الكشاف للزمخشرى .

٤- النموذج الجليل فى أسئلة وأجوبة من غرائب آى التنزيل - زين الدين الرازى - هدية مجلة الأزهر عدد رجب ١٤١٠ .

٥- بدائع الفوائد - ابن القيم الجوزية - دار الفكر .

٦- البداية والنهاية - الحافظ ابن كثير - دار الغد العربى . .

٧- البرهان فى علوم القرآن -الزركشى - دار التراث .

٨- تأويل مشكل القرآن - ابن قتيبة - دار التراث .

٩- تفسير جزء عم - الإمام محمد عبده - ط محمد على صبيح .

١٠- تفسير القرآن العظيم - الحافظ ابن كثير - المكتب الثقافى .

١١- تفسير غرائب القرآن - نظام الدين النيسابورى - دار الحديـــث بـــها مـــش تفسير الطبرى .

١٢- تناسق الدرر فى تناسب السور - السيوطى - دار الاعتصام .

١٣- جامع البيان فى تفسير القرآن - ابن جرير الطبرى - دار الحديث .

١٤- الجامع الصغير - السيوطى - ط مصطفى الحلبى .

١٥- الجامع لأحكام القرآن - لأبى عبد الله القرطبى - ط الشعب .

١٦- حاشية الجمل على الجلالين - لأبى سليمان الجمل - ط عيسى الحلبى .

١٧- سنن ابن ماجة - ابن ماجة القزوينى - وإحياء الكتب العربية .

١٨- سنن أبى داود - لأبى داود السجتانى . دار الفكر .

١٩- سنن الترمذى - لأبى عيسى الترمذى - دار الحديث .

٢٠- صحيح البخارى - الإمام البخارى - مكتبة القاهرة مع شرحه فتح البارى .

٢١- صحيح مسلم - الإمام مسلم بن الحجاج - دار الغد العربى مع شرح النووى.

٢٢- طبقات المفسرين - شمس الدين الداودى - دار الكتب العلمية .

٢٣- الفوائد المشوق إلى علوم القرآن - ابن القيم - دار الكتب العلمية .

٢٤- الكشاف عن حقائق التنزيل - الزمخشرى - الدار العالمية .

٢٥- لباب النقول فى أسباب النزول - السيوطى - مكتبة نصير .

٢٦- مفاتيح الغيب - فخر الدين الرازى - دار الغد العربى .

٢٧- النحو الوافى - عباس حسن - دار المعارف .